دلالة الالوان في الشعر العراقي المعاصر بنوعيه التقليدي والحر

بقلم الدكتور
صدام فهد الاسدي
كلية التربية

الالوان من ظواهر الاشياء التي تقع عليها البصيرة فترتاح اليها مرة وتشمئز منها اخرى تبعا للمزاجية والانتقائية والعمرية احيانا ، وقد جاءت الالوان في اللغة تعني السحنة والهيأة (١) وكذلك الادراك المتمعن في الكيفية المؤكدة بقدرة البصر، وتعني الضرب والصنف يقال عنده لون من الثياب أي صنف منه، وجاءت الالوان في القرآن لفظة((ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه))(٢) وعلى الجوامد ((ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها)) وقوله تعالى ((واختلاف السنتكم والوانكم))(٣) وكلها تفصح عن دلالات الالوان في السحنة والهيئة والنوع ، وقد كثرت تجذرات الالوان ضمن الدلالات الاجتماعية (كثرت الالوان في ارض بني فلان) (٤)(تلون فلان كالحرباء) فللون اذن دلالة فنية بوصفه عنصرا فاعلا في تجربة الشاعر تتصهر فيه جميع الدلالات الحقيقية والمجازية (فالموت الاحمر) (الحرب السوداء) (الذئب الارقط) ويخرج اللون من دلالته الوصفية الشكلية الى دلالة على موصوف آخر وفيه يلح الشاعر ويوحي ويصرح ويلمح عفويا مرة وتصنعا عند البعض ، وفي الحالتين تكون ايحاءات اللون معينا يستمد الشعر منه جزء من طاقته .فأن (اللون الواحد يمثل عدة الوان معينة لا لونا واحدا تنضوي تحته مجموعة من الدرجات اللونية) (٥).

ولا يختلف اثنان بان شعرنا العراقي المعاصر قد حفل باللون كثيرا متأثرا بالخبرة والبيئة المتكئين على الوعي والرؤية والتجربة (لذا جاءت السيولة اللونية تتحرك خارج الايحاءات المألوفة التي تستند على خبرات جمعية وموروثة وسطحية ذات الانعكاس السريع ورد الفعل الآني)(٦) فالالوان لها مؤثرات تزين النسيج الباطني للنص وهذا ينعكس من خلال حساسية الشاعر للالوان واستجاباته النفسية لها في انتقاء اشكالها من الطبيعة الحقيقية أو الاصطناعية او الذهنية ، ومهما كان نوعها فقد تسهم في اكساب الصورة قدرة تأثير في سياق النص وتهب القارئ والمتذوق اثرا متفاعلا والالوان تتداولها الناس جميعا الكتاب والشعراء ، وتبقى خصوصية توليف وتشكيل وتعويض وقلب مستفيدين من الفنون البلاغية، فقد يغيب اللون ويبقى ظله بديلا عنه ، وهذا يدل على قدرة الشاعر في فهم دلالة اللون ، فالشاعر الذي يقول لنا العشب اخضر والنخلة خضراء والوردة حمراء لا يأتي بجديد تصريحا او رمزا ، وهذا ما اريد